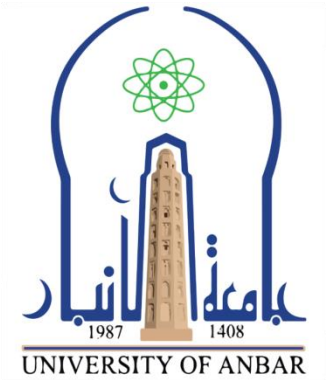

كلية : الآداب

القسم او الفرع : التـاريـخ

المرحلة : الرابعــة

أستاذ المادة : م. محمد جهاد عبـد

اسم المادة باللغـة العربية : الفكر العربي الإسلامي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Arab Islamic thought

اسم المحاضرة الثالثـة باللغـة العربيـة : علـوم اللغـة العربيـة

اسم المحاضرة الثالثـة باللغة الإنكليزية : Arabic language sciences

علوم اللغة العربية

١- اللغة

نالت العلوم اللغوية عناية بالغة من المسلمين عبر كل العصور الإسلامية لأنها الجزء المكمل للعلوم الشرعية، فليس من السهل فهم مضامين العلوم الشرعية واستيعابها والعمل بأحكامها بمعزل عن العلوم اللغوية، ولأهمية هذه العلوم في خدمة الحضارة الإسلامية وصقل شخصية الفرد والمجتمع. لذا فان العلوم اللغوية بفروعها المختلفة كانت قد تطورت هي الأخرى لاستمرار صلتها بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

فاللغة اصطلاحا: هو علم باحث عن مدلولات جواهر المفردات وهيئاتها الجزئية التي وضحت تلك الجواهر معها لتلك المدلولات بالوضع الشخصي.
فهي هوية الأمة ومقياس حضارتها، وقد اعتنى العلماء باللغة العربية اعتناء كبيرا لأنها لغة القران الكريم. قال تعالى: ((**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**)) وكان العرب فصحاء في كلامهم وبلغتهم نزل القران الكريم ، واضفى عليها روعة وسحرا واعجبهم بأساليبه الباهرة فقويت ملكة اللغة ، وحفظ العرب لغتهم ونمت فصاحتهم وعندما بدأت حركة الفتوحات الاسلامية منذ العصر الراشدي بدأ اختلاط العرب بالعجم واتجهت ملكتهم نحو اللحن والتغيير والعجمة والمسألة الخطيرة هو انتقال اللحن الى كتاب الله و في ذلك خطر على توجيه الاحكام الشرعية والافكار التوحيدية .

ولذلك ظهرت حاجة لحفظ اللغة من اللكنة ، وحفظ اللسان من اللحن والعجمة فوضع علم النحو حرصا على تلاوة القران من دون خطأ ونطقه بلسان عربي مبين وهذا لا يعني ان النحو او الاعراب مستحدث فاللغة العربية مكتملة القواعد كما يتضح ذلك من شعر ما قبل الاسلام والقران الكريم. ومنذ صدر الاسلام بدأ العلماء يجمعون الفاظ اللغة ويرتبونها. واستمرت جهودهم طوال القرون الثلاثة الاولى . وكانوا يجمعون مفردات اللغة من القران الكريم لأنه افصح اللغة العربية الفاظا وابلغها تعبيرا كما كانوا يجمعونها من الشعر الجاهلي ومن الفاظ اعراب البادية ، او يتصلون بمن يقدم من الاعراب الى البصرة والكوفة فيسالونهم ويأخذون منهم ويدونون عنهم وكانوا ينقدون الالفاظ ليتأكدوا من ان الكلمة صحيحة من حيث اشتقاقها من اصولها .

وإنقسم علماء اللغة الى فريقين : فريق يصحح اللفظة على اساس صحة روايتها ،وفريق لا يعدونها صحيحة إلا اذا كانت صحيحة من حيث القياس وقد اشتهر اهل البصرة بالقياس ، واشتهر اهل الكوفة بالسماع أي بالاعتماد على الروايات المقولة عن الاعراب .
وقد دون بعض العلماء الفاظ اللغة في رسائل وكتب صغيرة مستقلة يقتصر كل كتاب او رسالة منها الفاظ موضوع معين مثل كتاب الابل وكتاب الخيل وكتاب النخيل للأصمعي وكتاب خلق الانسان لأبي اسحاق الزجاج ت:٣١١ه ونظم بعض العلماء الالفاظ في معاجم عامة لا تقتصر على موضوع معين وانما ترتب على حسب الحروف الهجائية او على المعاني المتشابهة او المتقاربة واول من رتب الفاظه اللغة حسب الحروف الهجائية الخليل بن احمد الفراهيدي ت: **١٧٠هـ** وهو واضع قواعد علم العروض أي علم اوزان الشعر وبحوره وقد رتب الفظ اللغة حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالشفتين . وبدأ بحروف العين وجعل حرف العلة الاخر. ولهذا سمي الكتاب بكتاب العين ، وقد افاد منه الادباء واللغويون واصحاب المعاجم فائدة كبيرة.

واستمر العلماء على وضع المعاجم او القواميس واتبعـــوا اساليب مختلفة في ترتيب الكلمات ومن اشهر هذه المعاجم :

الجمهرة في اللغة لأبي بكر محمد ابن الحسن الازدي ت:٣٢١ه وهو معجـــم مرتب على حروف الهجاء مع تقليبات الكلمة . والتهذيب للأزهري ت:**٣٧٠هـ** وهو مرتب على طريقـــة كتاب العيـــن والمجمل لابن فارس ت:٣٩٠هـ . والصحاـــح للجوهري ت:٣٩٨هـ وقد لخصه الرازي من اهل القرن الثامن في كتاب سماه (مختار الصحاح)والصحاح ومختار الصحـاح مرتبان على الحرفين الاول والاخر من اصل الكلمة أي ان الكتاب مقسم الى ابواب بحسب الحرف الاخير من الكلمـــة . وكل باب مقسم الى فصول بحسب الحرف الاول من الكلمة فالباحث عن كلمة علم يجـدها في باب الميم فصل العين . وكلمة كتب نجدها في باب الباء فصل الكاف . وقد سار على هذا النهــج ابن منظور في معجمه(لسان العرب) والفيروز ابادي في (القاموس المحيط) والزبيدي في (تاج العروس) .

ومن اوسع معاجم اللغة واعظمها انتشارا الى يومنا هذا لسان العرب لابن منظور ت:٧١١هـ وقد اورد عن كل كلمة شواهد كثيـرة من الآيات والاحاديث والاشعـار ، ولسان العرب هو اكثر من معجم فهو كتاب لغة ونحو وصرف وفقه وآداب وشرح للحديث وتفسير للقران .

والقاموس المحيط للفيروز ابادي ت: ٨١٧هـ وقد شرحه السيد مرتضى الزبيدي مستعينا بلســـان العر وغيره من كتب اللغة ومعاجمها وسمي شرحه (تاج العروس في شرح جواهر القاموس). وهو من اكبر المعاجم واوثقها .

وقد الفت عشرات المعاجم نذكر منها (المعجم الوسيط)الذي نشره مجمع اللغة العربية في القاهرة بجزئيين سنة ١٩٦٠وهو من اصح المعاجم العصرية واعظمهـــــا فائدة للقارئ لما حوى من الالفاظ المعربة والاشتقاقات الجديدة والكلمات الحضارية والعلمية المستحدثة وبما ان اللغة العربيـــة قد تميزت بكثرة المترادفات فضـــلا عن المرونة وصياغـــة المشتقات من ألفاظها مع سهولة التعبير عن أعظـــم حضارة. لذلك يعد القرن السادس الهجري من عصور الازدهار العلمي والعطاء والتطور في خدمة اللغة العربية وآدابها، إذ ان العلماء انطلقـــــوا في مرحلة التفاعل الحضاري والنضـــج إلى حيث أخرجوا الموسوعات الضخمة والمعاجم الجامعة. ولقد توسعت الدراسات اللغوية وازداد الاهتمام بها كثيرا في هذا العصر لأسباب متعددة ومختلفة منها استيـــلاء السلاجقة على الحكم في خراسان، اذ وصل هؤلاء الذين ينتمون ثقافيا إلى مناطق وسط آسيا إلى السلطة والحكم وورثوا دولة السامانيين، اذ انهم كانوا اقل حضارة من المناطق الجديدة التي وصلوا اليها، فإنهم اقتبسوا وتأثروا بثقافتها ونظمها، وهكذا قدر للغة الفارسية ان تواصل سيادتها خلال الحقبة السلجوقيـــة اذ أصبحت لغة الحكم والسياسة والأدب. وقد استمر ذلك بعد وصول السلاجقة إلى بغداد وسيطرتهم على الخلافة ومؤسساتها التي لم تفاجأ في الواقـــع بالوضع الجديد ذلك انها عاشت ظروفاً مشابهة تمثل في الغزو البويهي والذي كانت اللغة الفارسيـة والموروثات الفارسية عماد ثقافته، ونتيجة هذه التطورات فقد كان من المتوقع ان يحصل الصراع اللغـوي والتأثيرات المتبادلة في الأثر اللغوي في المفردات وازاء هذه الوضع عمل كثير من علماء اللغة كرد فعل على الوضع الجديد على جمع مصادر الكلمات ومفردات لغة العرب في معاجم خاصة ، اذ تمثلت الخطوة الأولى من جهودهم في جمع الكلمات حيثما اتفـــق، ثم جمع الكلمـــــات المتعلقة بموضوع واحد والرسائل اللغويـــة على الموضوعـات

مثل غريب القران وغريب الحديث وغريب الفقه واللغات والعامي والمعرب ولحن العامة. لذا فقد حافظت بغداد على عروبتها ولم تتأثر بلغة من تسلط عليها من الاجانـــب واحتفظت بلغتها العربية الفصحـــى وحافظت عليها بشدة، بل وأثرت فيمن قدم اليها من العلماء من غير العرب وغيرت من ألفاظهم.

- النحـو :

هو علم بقوانين تعرف بها أحـــوال التراكيب العربية من الإعـــــراب والبناء وغيرها، وقيل النحو: علم يعرف به أحـــوال الكلام من حيث الإعلال. ويسمى علم الإعراب يعرف به كيفية التراكيب العربية وكيفية ما يتعلق بالألفاظ من حيـــث وقوعها فيه. ولقد ظهر كعلم معمول به بعد عمليات التحرير والفتح لغرض المحافظة على اللغة العربيـــة وسلامتها من دخول المفردات الأعجمية اليها وتفشي اللحن فيها فوضعوا القواعد التي تمنع اللحن فيهـــا فعرفت هذه القواعد بـ(علم النحو) فكان العامل الأساسي في ظهوره المحافظة على لغة القران الكريم من التحريف واللحن أثناء قراءته. وقد أشار ابن خلـــدون إلى ذلك بقوله: (خشي أهل العلم منهم ان تفسد تلك الملكة رئيســـــاً ويطول العهد بها فينطلق القران الكريم والحديث على المفهوم، فاستنبطوا من مجاري الكلام قوانين لتلك الملكـة يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشياء، ثم رأوا تفسير الدلالة بتغير حركـــــات هذه الكلمات فاصطلحوا على تسميته إعرابا وتسمية الواجب لذلك التغير عامـــلاً ، وأمثال ذلك كلها اصطلاحات خاصة بهم فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحـــوا على تسميتها بعلم النحو. وحول حقيقة نشئت هذا العلم كانت هناك عدة روايات منها كما أوردها صاحـب كتاب (نزهة (الالباء) بقوله: (أن علياً عليه السلام هو الذي وضع علم النحو. وفي رواية أخرى ينسب ابن الانباري: نشـــــأت النحو إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنهم). في حيـــن يرى الزبيدي ان أبا الأسود الدؤلي هو أول من أسس العربيـة ونهج سبيلها ووضع قياسها حين اضطرب كلام العرب وصار سراة النـــــاس ووجوههم يلحنون فوضع باب الفاعل والمفعول به والمضاف وحروف النصب والرفع والجر والجـزم.

وكان لاهتمام المأمون بالنحو أن طلب من الفراء أن يؤلف له كتابا في النحو يجمـــــع فيه أصول النحو، "وأمر أن يفرد في حجرة من حجر الدار ووكل بها جواري وخدمـــاً يقمن بما يحتاج أليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشرف نفسه إلى شيء، حتى أنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة وصيرله الوراقين والزمه الأمناء والمنفقين".

وقد تطور النحو القائم على أسس محدودة ومبوبة فاصبح له مدارسه ، ومن أهمها:

مدرسة البصرة : ومن اشهر علمائها في النحو ابو الاســود الدؤلي الذي ينسب اليه وضع اسس هذا العلم . واشهـــر علمائها الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٤هـ / ٧٩٠م) ، ويونس بن حبيب (ت ١٨٢هـ / ٧٩٨م) وقد تميـــــزت هذه المدرسة في حذرها الشديد في اخذ الاسس السليمة لبناء قواعد اللغة العربية ، اذ لم يأخذوا اللغة الا من مصادرها الموثوقـــــة ولذا فقد رحلوا الى اعماق نجد وبوادي الحجاز وتهامة جامعين المادة من منابعها الصافية لان البصـــــرة فيها لحن بحكم موقعها الجغرافي فيؤممها اناس من جنسيات مختلفة ، وكانت هذه الرحلات الى بادية شبه جزيرة العرب طويلـــة فكانوا يقيمون سنين ، ومن اشهر الرحالة الخليل بن احمد الفراهيـــــدي ، ويونس بن حبيب ، والاصمعي (ت ٢١٦هـ / ٨٣١م) واعتمدت هذه المدرسة على القران الكريـــــم وعلى القياس ويعزى لسيبويه ـ العالم الاسلامي الكبير ـ التوسعة في ميادين توجهات هذه المدرسة فقد نشأ في البصـــــرة وتتلمذ على يد الخلي الفراهيدي ويونس بن حبيب في النحو والف فيه كتاب المسمى (الكتاب) وهو لم يسبقـــــه احد في النحو الى مثله وهو كتاب جامع الى كل ما يحتاجه الطالب في قواعد النحـــو واللغة . ومن علماء البصرة المشهورين ايضا محمد بن يزيد الأزدي المعروف بالمبرد ت: سنة ٢٣٥هـ واشهر كتابه (الكامل في اللغة والادب)

مدرسة الكوفـة : واشهر علماءها ابو جعفر بن الحسن الرؤاسي ت:٢٣٥هـ وهو مؤسس مدرسة الكوفـــة وراس علماءها .بدأت الكوفة اهتمامها بعلـــم النحو بعد مائة عام من البصرة ولكنها شقت طريقها بسرعة لتعوض ما فاتها ، وساعدها في ذلك مساندة الخلفـــاء العباسيين لبعض علمائها حيث

فضلوا مشايخ الكوفة على علماء البصرة حتى انهم اتخذوا مؤدبيـــن لأبنائهـــم منهم ، وربما يعود ذلك الى ان مذهب البصريين اصبح متشدداً جامداً بحيث اصبحت طرقه لا تقبل أي تساهــل في أي حالة شاذة او غريبة ، اما مدرسة الكوفة فقد كانت اكثر حريــة وتطوراً حتى انها اعتبرت ان الشذوذ عن الاصل هو قاعدة جديدة يقاس عليها واعتمـــــــــدت في بدايتها على مدرســـة البصرة اذ درس علماؤها على يد علماء البصرة.

وبشكل عام لم يرحل علماؤها رحلات طويلة الى بادية الاعراب من شبه جزيرة العرب ، وهناك من رحل وقد اعتمدت مدرسة الكوفة في وضع اسسهـــــــا على القران الكريم والشعر العربي في الجاهلية والاسلام الا انها لم تعتمد القياس الا نادراً لسعة محفوظهم وسلامة لغتهم من اللحن ، فضلاً عن اعتمادها على لهجات عرب الارياف التي لم تعتمد عليها مدرسة البصرة. ومن نحوييهم المشهورين الفراء ت: ٨٠٧هـ والكسائي.

مدرسة بغداد: التي ساهم علماء مدرسـة البصرة والكوفة في بناء فكرها بالرغـــــــم من ان منهـج مدرسة الكوفة كان هو الغالب عليها لكنها اتجهت الى مذهب معين لا ينحـــــاز لا حدى المدرستين. ومن اشهر العلماء المتأخرين ابن جني ت: ٣٩٢هـ وكان راس علماء النحــو في بغداد وقد عمل اكثر من غيره على توحيد مذهبي البصرة والكوفة وعلى استنباط المبادئ الفلسفية في اللغة .وعني بالصرف عناية كبيرة والزمخشري ت: ٣٥٩هـ وهو اديب وعالم ومتكلم معتزلي وله كتاب المفصــل في النحـــــو ، وقاموس اساس البلاغة ومقامات في الانشاء الادبي .ومن العلمـــــــاء المشهورين في النحـــــــو محمد بن مالك الاندلس ت: ٦٧٢هـ صاحب الالفية المسماة باسمه (ألفية مالك) وقد جمع فيها خلاصة قواعد النحو.

٤-علـــوم الأدب وفنـــونـه

لقد عظم حظ الأدب والشعــر في هذا العصر بأدباء أجلاء وشعراء فحول في العراق والمشرق الإسلامـي وعنوا بتدوين المأثور من شعر ونثــر، بروايته واختياره ونقده كما ألفوا في فنون الأدب وبلاغته وتاريخه وطبقات رجاله. ولقد تعددت اتجاهاـــــــت المؤلفين في الكتابة وتنوعت مذاهبهم فيها، وأصبح كثير من مؤلفاتهم من أمهات كتب الأدب التي استوفت حظها من الجمع والاستيعاب والشمول.

ومن ينظر في المصادر الأدبية التي كتبت خلال العصـــر العباسي المتأخر وفي فهارس الكتب في الشرق والغرب، أو يقف على هذه المؤلفات يأخذه العجـــب العجاب من ضخامة النتاج الغزير في الأدبية العالية التي هي الصفة المشتركة بين أدباء وعلماء العصــر. ولاشك ان المصادر الادبية كانت من الاهمية وهي الصفة المشتركة بين ادباء عصرهم وكان الأدب في القرن السادس للهجرة، المرآة التي عكســت الوضع الاجتماعي والفكـــــري بصورة كافية من خطابة وكتابة وقصص وشعر، ذلك ان الأدب في هذه المدة لم يتأثر بالحالة السياسية المضطربة بل ظل فعالاً معبراً عن أحاسيس الأمة رائجاً ومتداولاً، ولعل ذلك نتيجة لأسباب عديدة متداخلـــة منها ظهور حركة إنشاء المدارس وتركيزها على الاهتمام بجوانـــــــب مختلفة ومتنوعة من العلوم ، وكان لعلوم العربية مكانها المرموق بينهـــا.

وكذلك شيوع المكتبات وما أوقف للإنفاق عليها ويضـــــاف إلى ذلك ظهور طبقة ذواقة ومتمكنة احتضنت الشعراء والأدباء وعلماء اللغة والبلاغة والنحو وتمثلت في الخلفـــاء والوزراء والسلاطين والأمراء حتى الميسورين من أفراد المجتمع الذين كانوا يتنافســـــون على احتضان الأدبـاء

والشعراء لجلساتهم الشعرية والأدبية. والحق ان السلاطين السلاجقة الأوائل لم يكونـــوا يتذوقون الأدب العربي عامة لأنهم أعاجم من جهة ، كما أنهـــم لم يكونوا على حظ وافر من الثقافة من جهة أخرى غير ان ذلك لم يستمر طويلاً اذ سرعان ما حصـــل التأثر الحضاري بثقافات المناطق التي حكموها وبدأت منذ عصر السلطان ألب أرسلان ومن جاء بعده مرحلـــة الاهتمام المتزايد بالعلوم والآداب. لهذا فأنهم شجعوا العلماء وأنفقوا على الطـــــلاب وأغروا بالتأليف وكان نتيجة ذلك ان برز في عصرهم كثير من الأدباء العرب والفرس أو حتى المبرزون في اللغتين من أمثال الوطواط المتوفى سنة (٥٧٣هـ/ ١١٦٦م)